والبغدادي ابن منابر. لقد تلاعب بأحاسيس الجمهور، اللعب الذي لايهدف لمجرد اللعب غير المبرر... حملهم معه، بحزن مكابر، إلى مطارح الوجع، وكان دافئاً، وصادقاً مع نفسه، وكان حزنه حزن الأم التي تتقرى جراح وليدها، الوطن، فما تكاد تمسك النفس، من أن تتسرب دمعة عاشقة من هنا، وأنة جريح من هناك...

«ما أكثر العشاق... وما أقل العشق...»

يقال ان الحسن بن هانيء (أبو نواس) كان إذا سمع بمطلع جميل لشاعر سواه، سعى اليه ليشتريه منه ليضمنه في شعره...

ليت أن مثل هذا التقليد لا يزال سارياً في عصرنا الحاضر، إذن لسعيت إلى شوقي بغدادي، واشتريت منه مطلعه الساحر هذا، وعدت الى كتابة الشعر لانسج على منواله قصيدة كاملة أو ديواناً من الشعر..

وفي نوع من التصوير لعريس وهمي، هو العلاقة بين الشعب وقضيته، والمتنطحين لها، يسخر من دعوى المدعين، من شاربيّ عنترة ولا عنترة... «ما أكثر العشاق وما أقل العشق...

فانهض إذن واركب حصانك يا أمير الفسق،
يوم الزفاف ولا عريس، فكن عريس الزين...
واخدع عزيزة والأب السلطان... والصقرين،
لم يبق غير الكحل تمحوه دموع العين...
وأب تهدل شارباه وردع الطيرين،
هذا زمانك فاغتنمه يا سليل المين،
وانهض له، تنهض لك الدنيا على الجنبين،
ويجلجل الطبال والقوال ذو الوجهين،
يا ليل آه يا عين، يا ليل آه يا عين...»

ولقد ألفاها، شبه مفتاة، بتلك النكهة الشامية المميزة والمحببة، والتي قد لا يعرف كيف يميزها، الا من عانى عشق المدينة الساحرة... لن نطيل مع قصيدة شوقي، فهي أيضاً، لو كان في المجال متسع، تستحق هي الأخرى دراسة تفصيلية:

«يا رب ان دمي على شفتي
واذا اختنقت فانها رئتي...
يا رب، ليست صعبة لغتي...»

وكان الشاعر يعاني، كما بدا لنا، من كل الحرمان والأوجاع ووشك الاختناق...

ثمة شاعر آخر، قليلاً ما سمعنا به في بيروت، وربما في منتديات أخر، هو نزيه أبو عفش، ألقى قصيدة جميلة ومليئة بالمعاناة. الا أن مشكلة الشاعر، انه ليس منبرياً، والمنبرية قد لا تكون من الأهمية بمكان، بالنسبة للشعر. الا أنها حين تواجه الجماهير بشعرك، تكتسب هذه الأهمية. ولولا ذلك، لما ركز عليها قدماء العرب، فوضعوا لها اللوائح والمواصفات وبالغوا بها في كثير من الأحيان. والذي يزيد مزيداً من التقصي لذلك، لا بد وأنه يجده في «البيان والتبيين» للجاحظ.

طبيعي أن المنبرية، لا تستطيع أن تقدم شاعراً، فقد صلته الحقيقية بالشعر. وبرغم هذه الاشارة، لقد قدم أبو عفش قصيدة طيبة، ولقي تجاوبا من الجمهور.

خير دليل على ما أسلفناه، أن شعراء، لم يتجاوزوا الاثنين او الثلاثة في أبعد تقدير، قد سقطوا